المملكة العربية السعودية
وزارة الحج والأوقاف

التفسير البسيط للقرآن الكريم

بقلم
د. حسن محمد باجودة
رئيس لجنة تحكيم مسابقة القرآن الكريم الدولية
بالمملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى

الجزء التاسع

منشورات الأمانة العامة لمسابقة القرآن الكريم الدولية

الله
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فهذا تفسيرٌ مبسّطٌ للجزء التّاسع من القرآن الكريم ، يكمل به تفسير سورة الأعراف ويغطّي صدر سورة الأنفال . وقد قمت بعملنه على غرار تفسير الأجزاء الثّمانية السّابقة ، الّتي طبعتها وزارة الحجّ والأوقاف مشكورة تلبيةً لرغبةٍ كريمةٍ للّجنة العليا المنظّمة للاحتفال السّنويّ العالميّ لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره ، برئاسة معالي وزير الحجّ والأوقاف ، الأستاذ عبدالوهّاب أحمد عبدالواسع . إنّ هذا الجزء التّاسع هو ميدان التّفسير للمتسابقين في الحقل الأوّل ، الّذي يشمل حفظ القرآن الكريم كاملاً مع التّفسير ، من بين الحقول الخمسة للمسابقة ، في الاحتفال السّنويّ الثّاني عشر ، المنعقد في شهري جمادى الآخرة ورجب سنة ١٤١٠ هـ . وكأنّ هذا التفسير تتويجٌ للأعمال الّتي تمّت في مجال التّفسير ، في أثناء الاحتفال الثّاني عشر . علماً بأنّ ميدان المتسابقين هذا العام ١٤١١ هـ هو الجزء العاشر من القرآن الكريم .

وأنتهز هذه الفرصة المباركة كي أوجّه خالص شكري وتقديري لوزارة الحجّ والأوقاف ، وعلى رأسها معالي الوزير ، على الثّقة الّتي منحتني إيّاها ، بأن أقوم بعمل هذا التّفسير ، الّذي حرصت فيه ، كما حرصت في سابقيه على أمورٍ أهمّها ثلاثة :

١ ــ أن أبيّن مظاهر التّرابط بين الآيات الكريمات والموضوعات .

٢ ــ أن أشير إلى الدّروس الّتي يمكن أن تستفاد .

٣ ــ أن أنسب الأقوال كلّها إلى مصادرها .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، إنّه سميعٌ مجيب .

﴿ ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . ربّنا ولا تَحْمِل علينا إصراً كما حملته على الّذين من قبلنا . ربّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به . واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ .

﴿ سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون . وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله ربّ العالمين ﴾ .

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله ربّ العالمين .

مكّة المكرّمة

يوم الجمعة ٩/ ١٠/ ١٤١٠ هـ

الموافق ٤/ ٥ / ١٩٩٠ م .

كتبه الفقير إلى عفو ربّه

د. حسن محمّد باجودة

رئيس لجنة تحكيم مسابقة القرآن الكريم الدّولية

بالمملكة العربيّة السّعوديّة

اوّلاً:
تمام سورۃ الاعراف

۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ
كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم
بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ
﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا
كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ
أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ
عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ
أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ
بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ
ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا
وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا
ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ
مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ
يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم
بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾
تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ
كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا
لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ
﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم
بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ
جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ
عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ
لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾
قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ
لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن
نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟
أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا
يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟
هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَـٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ
فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ
فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾
قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا
بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ
﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ
نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ
ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا
مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ
أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ
بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ
يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ
لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ
ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ
ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن
كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ
فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾
وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ
ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ
يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ
أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ
قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ
مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا
وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم
مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ
أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن
رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً
وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ
مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ
سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ
رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ
إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ
رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ
قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى
فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا
لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ
شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ
دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟
بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟
سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ
ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ
عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ
سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ
فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا
رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى
مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ
أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟
يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى
رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ
تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى
نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ
مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ
قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَّ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى
مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا
هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى
وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ
فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ
عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ
عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟
ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى
لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ
فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ
وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾
وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ
إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ
فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ
وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا
ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ
قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ
شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ
لَكُمْ خَطِيٓـَٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾
فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ
حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ۘ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ
حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ
لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾
فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ
وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ
﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن
يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ
لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ
الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ
وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ
وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا
وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ
أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ
خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ
بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ
خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ
ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا
فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ
كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ
يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ
ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ
فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ
لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ
بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾
وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ
يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ
كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ
هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ
أَجَلُهُمْ ۚ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا
هَادِيَ لَهُ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ
أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ
عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ
أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ
أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم
مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا
تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا
ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى
ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ
﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾
وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ
أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن
كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ
يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ
يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾
وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ
أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ
وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ
بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ
ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟
فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ
لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ
قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ
وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ
فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ
فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ
وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

بين يدي التفسير

شعيب عليه السلام وقومه
الآيات (٨٨-٩٣)

سبق أن درسنا في الجزء الثّامن الثّلاث الآيات الكريمات المتعلّقة بشعيبٍ عليه السّلام وقومه ، والّتي تذكر « مدين » اسم القبيلة واسم القرية ، والّتي تشير إلى دعوة شعيبٍ عليه السّلام المماثلة لكلّ دعوات الرّسل إلى توحيد الله تعالى والّتي تبيّن تطفيف قوم شعيبٍ عليه السّلام في الكيل والوزن ، وإفسادهم في الأرض ، وصدّهم عن سبيل الله تعالى ، وكفرهم نعم الله تعالى ، وعدم اتّعاظهم بما حلّ بالكافرين السّابقين أمثالهم ، وفرار شعيب عليه السّلام إلى الله تعالى خير الحاكمين حتّى يحكم جلّ وعلا بينه عليه السّلام وبين الملأ المستكبرين الكافرين من قومه .

وتبدأ أولى آيات الجزء التاسع بتقرير قول الملأ الّذين استكبروا من قوم شعيبٍ عليه السّلام أن يخرجوا شعيباً عليه السّلام والّذين آمنوا معه من قريتهم مدين أو أن يعودوا في ملّتهم ، أي في الكفر الّذي كان فيه المؤمنون من أتباعه عليه السّلام . وينكر عليهم شعيبٌ عليه السّلام أن يطلبوا منهم أن يعودوا في ملتهم وإن كانوا كارهين العودة إليها . ويستمرّ قائلاً : قد افترينا على الله تعالى كذباً إن عدنا في ملّتكم وارتددنا كافرين بعد أن نجّانا الله تعالى من ملّتكم وكفركم ، وما ينبغي لنا أن نعود في ملّتكم إلاّ أن يشاء الله ربّنا ذلك فيخذلنا ويكتب الشّقاوة ــ لا سمح الله ــ علينا . إنّ ربّنا جلّ وعلا وسع علمه كلّ شيء ، وعليه توكّلنا ، ونسأله جلّ وعلا أن يحكم بيننا وبين قومنا بالحقّ وهو جلّ وعلا خير الفاتحين وأعدل الحاكمين . ويستمرّ الملأ المستكبر الكافر في عناده ويقرّر في أسلوب القسم بأنّ من يتّبع شعيباً عليه السّلام هو من الخاسرين ، وتأخذهم الزّلزلة الشّديدة ، ويصبحون في

دارهم هلكى جاثمين على ركبهم ، وكأنّهم ما عاشوا في تلك الدّار ، وثبت أنّهم هم الخاسرون وليس المؤمنين . ويتولّى شعيبٌ عليه السّلام عنهم ويقول لهم إنّه أبلغهم رسالات ربّه جلّ وعلا ونصح لهم فكيف يحزن عليه السّلام ويأسى على القوم الكافرين الّذين أخذهم العذاب في الدّنيا قبل الآخرة .

سُنّة اللهِ تعالى
في الكافرين الفاسقين وفي المؤمنين المتقين
الآيات (٩٤ – ١٠٢)

تبيّن آيات القسم سنّة الله تعالى في الكافرين الفاسقين الّذين يأخذهم جلّ وعلا أخذ عزيزٍ مقتدر ، وفي المؤمنين المتّقين الّذين لهم العاقبة . إنّ السّياق يقرّر أنّ كلّ قرية يرسل الله تعالى إليها رسولاً ويبعث إليها نبياً فتكذّب وتكفر وتستكبر عن عبادة الله تعالى يأخذ الله سبحانه وتعالى أهلها بشدّة الفقر والمرض لعلّهم يتضرّعون إلى الله تعالى ويتذلّلون ، فإن فعلوا رفع الله سبحانه وتعالى عنهم العذاب إن شاء ، وإن لم يفعلوا بل أصرّوا على كفرهم واستكبارهم ، يصحّ أن يمكر الله تعالى بهم ويمدّهم في طغيانهم يعمهون إن أساءوا فهم الإمهال وظنّوه إهمالاً . إنّ الله سبحانه وتعالى يبدّل مكان السّيّئة من فقر ومرضٍ وعسر الحسنة من غنىً وصحّة ويسر حتّى يكثر القوم مالاً وولداً ويقولوا قد مسّ آباءنا ما مسّنا من عسرٍ ويسر ، وليس ذلك اختباراً من الله تعالى لنا بالعسر واليسر ، وفي هذه الحال يأخذهم الله تعالى ، إن شاء ، أخذ عزيزٍ مقتدر ، فجأة وهم لايشعرون . وكما جرت سنّة الله تعالى بأخذ الكافرين جرت سنّة الله تعالى بأن يفتح على المؤمنين المتّقين بركاتٍ من السّماء بالقطر وبركاتٍ من الأرض بالزّرع وبصنوف الخيرات .

وفي صيغة الاستفهام الإنكاريّ ينكر السّياق على الّذين يأتون المنكرات في جنح الظّلام أن يأمنوا مكر الله تعالى بأن يأتيهم ليلاً وهم نائمون ، وينكر على الّذين يأتون المنكرات في وضح النّهار أن يأمنوا مكر الله تعالى بأن يأتيهم ضحىً وهم يلعبون ، وينكر على الّذين يأتون المنكرات في كلّ الأوقات أن يأمنوا مكر الله تعالى بأن يأتيهم في كلّ الأوقات كذلك ! إنّ الّذين يأمنون بأس الله تعالى ومكره هم القوم الخاسرون . وينكر السّياق كذلك على الّذين يرثون الأرض من بعد أهلها الظّالمين الّذين أخذهم الله تعالى أخذ عزيزٍ مقتدرٍ أنّهم لا يتبيّنون أنّ الله سبحانه وتعالى لو يشاء أصابهم بذنوبهم ، وأنّه جلّ وعلا يطبع على قلوبهم فهم لايسمعون سماع تدبّر . ويقرّر السّياق أنّ تلك القرى الّتي قصّ الله تعالى من أنبائها كقوم نوحٍ وهودٍ وصالح ولوطٍ وشعيب عليهم صلوات الله تعالى وسلامه قد جاءت أهلَها رسلُهم بالآيات البيّنات فأصرّوا على التّكذيب والكفر وختم الله تعالى على قلوبهم أجمعين . وعلى الرّغم من العهد الّذي أخذه الله تعالى على بني آدم وهم في عالم الذّرّ ، وعلى الرّغم من الاستعداد الفطريّ لدى الإنسان والميل الطّبيعيّ لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له فإنّ أكثر بني آدم ما وجد الله سبحانه وتعالى لديهم وفاءً بالعهد بل كان أكثرهم فاسقين منحرفين عن جادّة الصّواب معاندين نداء الفطرة بإفراد الله تعالى بالعبادة .

بعث الله تعالى موسى عليه السلام بآياته التسع وعاقبة المفسدين
الآيات (١٠٣ - ١٣٧)

بعد إهلاك الله تعالى الأقوام الكافرين الّذين نصّت عليهم السّورة الكريمة بسبب تكذيبهم رسل الله تعالى إليهم بعث الله سبحانه وتعالى موسى عليه السّلام بآياته البيّنات التّسع إلى فرعون ملك مصر وأشراف قومه الّذين كفروا بها ظلماً وعلوّاً فانظر يا محمّد بعين قلبك كيف كان عاقبة المفسدين الّذين أغرقناهم في اليمّ . وها هو ذا موسى عليه السّلام

أمام فرعون الطّاغية وجهاً لوجه ويقول له بعد ندائه باسمه إنّه رسولٌ من ربّ العليم ، وإنّه حريٌّ به عليه الصّلاة والسّلام ألاّ يقول على الله تعالى إلاّ الحقّ . إنّه عليه السّلام قد جاء فرعون وملأه بآيةٍ واضحةٍ من ربّه جلّ وعلا فعلى فرعون أن يرسل مع موسى عليه السّلام بني إسرائيل إلى أرض الشّام . ولمّا كان الطّاغية قد زعم أنّه ربّ قومه الأعلى ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذبا ﴾ فقد كان عليه أن يدافع عن أكذوبته الكبرى فقال لموسى عليه السّلام إن كنت يا موسى جئت فعلاً بآيةٍ من ربّك فأت بها إن كنت من الصّادقين في زعمك أنّك رسول ربّ العالمين . وقد لفت انتباهنا بشأن هذه الآية الكريمة : ﴿ قال إن كنت جئت بآيةٍ فأت بها إن كنت من الصّادقين ﴾ مجيء جملتي جاء وأتى في نسقٍ واحد ، وقد تبيّنّا من هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات الكريمات الّتي جاءت فيها جملتا جاء وأتى معاً أنّ جملة جاء لاتُسْتَعْمل في القرآن الكريم إلاّ دليلاً على القرب الزّمانيّ أو المكانيّ أو النّفسيّ ، وأنّ جملة أتى لا تُسْتَعْمل في القرآن الكريم إلاّ دليلاً على البعد الزّمانيّ أو المكانيّ أو النفسيّ . وإنّ معنى الآية الكريمة : إن كنت يا موسى جئت فعلاً بآيةً بيّنة كما زعمت فأت بها فإنّي أستبعد ذلك وأتمنّى ألاّ يتحقّق ذلك . وما كان من موسى عليه السّلام إلاّ أن ألقى عصاه ، وهي أولى آياته التّسع فإذا هي ثعبانٌ عظيمٌ وحيّةٌ تسعى . وما كان من موسى عليه السّلام كذلك إلاّ أن أدخل يده في الجيب الّذي يدخل فيه رأسه من قميصه حتّى وصلت يده الأدماء إلى جناحه بمعنى الإبط والعضد وما جاورهما وضَمَّ جناحه إلى يده وأخرج يده فإذا هي بيضاء تضيء كشعاع الشمس تغشى البصر من غير برصٍ ولا مرض . وهذه هي ثاني آياته التّسع عليه السّلام . وجُنّ جنون فرعون وملئه وقالوا إنّ موسى عليه السّلام ساحرٌ عليمٌ في مهنة السّحر ، وإنّه عليه السّلام يريد أن يخرجهم بسحره من أرض مصر ، وتشاوروا في أمره وأمر شقيقه هارون عليهما السّلام واتّفقوا على أن يؤخّر موسى عليه السّلام وأخوه هارون عليه السّلام إلى أن يأتي السّحرة الّذين سيستدعيهم فرعون الطّاغية بواسطة جنده من سائر أنحاء البلاد . وجاء السّحرة من كلّ حَدَبٍ وصوب ، وسألوا فرعون هل لهم أجرٌ إن كانوا هم الغالبين موسى وأخاه ، وأجابهم فرعون الطّاغية إلى طلبهم وأضاف بأنّهم سيكونون من خاصّته المقرّبين . وفي الموعد المضروب التقى موسى وهارون عليهما السّلام بالسّحرة وجهاً لوجه أمام فرعون وملئه والجمهور من النّاس ، وقال السّحرة لموسى عليه السّلام إمّا أن تلقي عصاك الّتي تتحوّل

حيّةً تسعى وإمّا أن نكون نحن الملقين عصيّنا وحبالنا قبلك . قال لهم موسى عليه السّلام ألقوا أنتم أوّلاً فألقوا حبالهم وعصيّهم وسحروا أعين النّاس وصرفوها عن حقيقة إدراكها وملئوا نفوس النّاس رهبة وقلوبهم خوفاً وجاءوا بسحرٍ عظيم وملأوا به الوادي ثعابين تجري وتتلوّى ، وحيّاتٍ تسعى وتتمطّى ، وقد ركب بعضها بعضاً .

لقد أوجس موسى عليه السّلام خيفةً في نفسه لكون سحر السّحرة من جنس معجزته عليه السّلام فخشي عليه السّلام أن يختلط على النّاس السّحر بالآية البيّنة ، ثمّ إنّ موسى عليه السّلام يصحّ أن يكون قد انتابه شيءٌ من الخوف الّذي انتاب النّاس حينما رأى الحيّات تملأ الوادي ويركب بعضها بعضاً . وأوحى الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السّلام أن يلقي عصاه فإذا هي تبتلع بحذقٍ ما يصرفون عن وجهه الحقيقيّ وما يسحرون كذباً وباطلاً ، وفي ذات اللّحظة ظهر الحقّ وبطل ما كان يعمل السّحرة ، وفي ذات اللّحظة غُلب السّحرة وانقلبوا ذليلين وانقلب فرعون وملؤه حقيرين . وهنالك أُلقِي السّحرة ساجدين لربّ العالمين قائلين آمنّا بربّ العالمين ربّ موسى وهارون عليهما السّلام .

وواصل فرعون الطّاغية عتوّه واستكباره وقال لمؤمني السّحرة في أسلوب الاستفهام الإنكاريّ : أآمنتم بموسى قبل أن أسمح لكم بذلك ، إنّ هذا العمل الّذي فعلتموه من تظاهرٍ بالهزيمة أمام موسى ومن إيمانٍ به وسجودٍ لربّ موسى وهارون وربّكم هو كيدٌ دبّرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها وتحلّوا محلّهم فسوف تعلمون عذابي الأليم . لأقطّعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف بقطع اليد اليمنى والرّجل اليسرى أو العكس ثمّ لأصلّبنّكم على جذوع النّخل أجمعين حتّى تموتوا شرّ ميتة . ولمّا كان السّحرة قد ذاقوا حلاوة الإيمان وأُشْرِبَتْهُ قلوبُهُمْ فإنّ تهديدات فرعون لم تلق آذاناً صاغية وما كان من السّحرة إلاّ أن استسلموا لقضاء الله تعالى وقدره وها هم أولاء يقولون لفرعون الطّاغية إنّا إلى ربّنا جلّ وعلا لراجعون في كلّ حال ومهما كانت الطّريقة الّتي يتوفّانا الله تعالى فيها . وأمّا أنت يا فرعون فعجيبٌ أمرك لأنّك تُنكر علينا إيماننا بآيات ربّنا لمّا وصلتنا وكان المنتظر منك أن تبادر إلى الإيمان لا أن تكفر وتنكر علينا ما يقتضي الرّضا عنّا . ويفرّ مؤمنو السّحرة إلى أرحم الرّاحمين فيسألونه جلّ وعلا أن يفرغ عليهم الصّبر إفراغاً ويصبّه عليهم صبّاً لأنّ الخطب شديد والموقف عسير ، وأن يتوفّاهم جلّ وعلا مسلمين لله ربّ العالمين مؤمنين راضين مذعنين .

أما وقد أنهى فرعون الطّاغية مع مؤمني السّحرة حسابه فقد بقي أن ينهي حسابه مع

موسى عليه السّلام وقومه . إنّ قوم فرعون الطّاغية ليسألون الطّاغية في إنكار : أتترك موسى وقومه ليفسدوا في الأرض بالدّعوة إلى توحيد الله تعالى ويتركك يا فرعون ويترك آلهتك ! ويوقظ هذا السّؤال روح فرعون العدوانيّة القديمة فيعلن على رءوس الأشهاد بأنّه سيفعل ببني إسرائيل ما فعله قبل ولادة موسى عليه السّلام وقبل بعثته عليه السّلام بأن يقتل ذكور الأطفال ويترك إناث الأطفال أحياء ، ويقرّر بكلّ وقاحةٍ وقباحة بإنّه وملأه فوق موسى عليه السّلام وقومه قاهرون غالبون ساحقون . ويأمر موسى عليه السّلام قومه أن يستعينوا بالله تعالى وحده لا شريك له وأن يصبروا على ما أصابهم ، ويبيّن لهم أنّ كلّ شيءٍ يجري في الكون هو بعلمٍ من الله تعالى ومن ذلك ما يفعله فرعون الطّاغية في أرض مصر . إنّ على قوم موسى وعلى المؤمنين في كلّ زمانٍ ومكانٍ أن يعلموا أنّ الأرض لله تعالى يورثها جلّ وعلا من يشاء من عباده . وقد يكون للباطل بإذن الله تعالى جولةٌ أو جولات ولكنّ الجولة الأخيرة والعاقبة للمتّقين وحدهم وللمؤمنين دون سواهم . ويقرّر قوم موسى عليه السّلام عذاب فرعون الشّديد الّذي حلّ بهم قبل مجيء موسى عليه السّلام رسولاً من الله تعالى إليهم ، وخوفهم من العذاب الشّديد الّذي يتوعّدهم به الطّاغية . قال موسى عليه السّلام مؤكّداً المعنى السّابق في الآية الكريمة السّابقة مضيفاً الجديد من المعاني مبيّناً أنّ ربّهم جلّ وعلا عسى أن يهلك فرعون وملأه وعسى أن يستخلفهم جلّ وعلا في الأرض من بعدهم فينظر جلّ وعلا ويعلم علم ظهور كيف يعملون .

وهكذا تتبيّن مسئوليّة المسلمين الكبرى حينما يمكّن الله سبحانه وتعالى لهم ، على جهة الخصوص ، في الأرض .

أما وقد مارس فرعون الطّاغية بطشه ونفّذ تهديده فإنّ الله سبحانه وتعالى الّذي يمهل ولا يهمل قد أخذ فرعون وملأه ببقيّة آياته جلّ وعلا التّسع . وكان الأخذ بعد آيتي العصا واليد بالسّنين ونقصٍ من الثّمرات لعلّهم يتّعظون . ونستطيع أن نفهم السّنين بأنّها الجدب الّذي عمّ أرض مصر . ونستطيع أن نفهم النّقص من الثّمرات بأنّه تأكيدٌ للجدب بحيث إنّه زحف إلى ما يكاد يكون طعاماً ضروريّاً أعني الثّمرات . وحينما يصيب كلُّ ذلك فرعون وملأه يكون معنى ذلك حظّ الشّعب الأكبر من السّنين ونقص الثّمرات . وتظلّ رحمة الله تعالى واسعةً فإنّ النّقص لم يشمل كلّ الثّمرات على أمل أن يتّعظوا ويعودوا إلى أرحم الرّاحمين . والعجيب في أمر القوم أنّهم إذا أصابتهم الحسنة من خصب وسعة رزق وصحّة

قالوا لنا هذه وإنّا نستحقّها ، وإن تصبهم سيئة من جدب وضيق رزق ومرض قالوا إنّ كل ذلك الشّؤم الّذي حلّ بنا بسبب وجود موسى ومن معه من المؤمنين بين ظهرانَيْنا . ألا إنّ ما حلّ بهم هو من الله تعالى بسبب سوء عملهم ولكنّ أكثرهم لا يعلمون . وقد كان مجيء التّطيّر والطّائر في الآية الكريمة الحادية والثّلاثين بعد المائة باعثاً لنا على دراسة هذين المعنيين الواردين في القرآن الكريم من زاوية تطوّر الدّلالة . ولله الحمد والمنّة .

وفي اعتبار السّنين ونقص الثّمرات آيتين من آيات موسى عليه السّلام التّسع الّتي ابتدأت بآيتي العصا واليد تكون الآيات الخمس الباقيات هي الطّوفان والجراد والقُمّل والضّفادع والدّم ، وهي الآيات الّتي أرسلها الله تعالى على فرعون وملئه بعد أن أصرّوا على الكفر واعتبروا آيتي السّنين ونقص الثّمرات امتداداً لسحر موسى عليه السّلام ! وقد نصّ السّياق على هذه الآيات الخمس الأُخر .

وتجاه توالي الآيات وتتابع النّكبات قال فرعون وملؤه لموسى عليه السّلام : ادع ياموسى لنا ربّك جلّ وعلا بما عهد عندك وأوحى إليك من رفع البلاء بالتّوبة ، ادع لنا ربّك بأن يرفع عنّا البلاء فإنّا تائبون ونقسم لك لئن كشفت عنّا العذاب لنصدّقنّك ولنرسلنّ معك بني إسرائيل إلى أرض الشّام . ولمّا كشف الله تعالى عنهم العذاب إلى أجلٍ محدّد تنتهي عنده أعمارهم ويُتَوَفَّوْن وفق ما قضاه الله تعالى وقدّره عليهم إذا هم ينكثون العهد ويصرّون على الكفر فانتقم الله تعالى منهم فأغرقهم أجمعين في البحر المالح بسبب تكذيبهم وغفلتهم عن آيات الله تعالى ، وأورث عزّ وجلّ المؤمنين المستضعفين مشارق أرض الشّام ومغاربها الّتي بارك الله تعالى فيها بالخيرات المعنويّة بإرسال النّبيّين ، وبالخيرات الماديّة . وتمّت كلمة الله تعالى الحسنى على بني اسرائيل بأن يهلك فرعون وملأه ويورث بني إسرائيل الأرض من بعدهم بسبب صبر بني إسرائيل . ودمّر الله سبحانه وتعالى ما كان يصنع فرعون وملؤه من العمارات والمزارع وما كانوا يعرشون من الأبنية والقصور .

بَنُو إِسْرَائِيلَ يَسْأَلُونَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الإِذْنَ لَهُمْ بِعِبَادَةِ الأَصْنَامِ وَالإِنْكَارُ عَلَيْهِمْ

الآيات (١٣٨ - ١٤١)

العجيب في بني إسرائيل أنّهم سُرْعان ما نسوا إحسان الله تعالى إليهم بإنجائهم من فرعون وملئه وإغراق فرعون وملئه فبادلوا الإحسان بالكفران . إنّهم بعد أن جاوزوا البحر الّذي أغرق الله تعالى فيه فرعون وملأه وأتوا على قومٍ يعبدون أصناماً لهم قالوا لرسول الله تعالى إليهم موسى عليه السّلام : اجعل لنا صنماً نعبده من دون الله على غرار أصنام القوم الكافرين . ويكون جواب موسى عليه السّلام كالسّيل العارم المزمجر فيصف القوم بالجهل بمعنى عدم العلم بحقّ الله تعالى عليهم بوجوب إفراده تعالى بالعبادة ، وبمعنى الحمق والسّفه لأنّه لا سفه وراء مثل هذا الطّلب من رسول الله تعالى بأن يأذن لهم بالإشراك مع الله تعالى سواه وهو الّذي أرسله الله تعالى برسالة التّوحيد . ويقرّر موسى عليه السّلام أنّ المشركين عابدي الأصنام هالكٌ ما هم فيه وباطلٌ ما كانوا يعملون . وينكر عليهم في أسلوب الاستفهام أن يلتمس لهم معبوداً من دون الله تعالى الذي فضّلهم على عالمي زمانهم . وتعميقاً لكفران بني إسرائيل نعم الله تعالى إليهم يتحوّل السّياق إلى تذكير بني إسرائيل بكبرى تلك النّعم وهي إنجاؤهم من آل فرعون الّذين كلّفوهم سوء العذاب بتقتيل ذكور الأطفال واستحياء الإناث . إنّ كلاً من النّقمة والنّعمة اختبارٌ من الله تعالى عظيم أيصبر بنو إسرائيل في حال السّيّئة ؟ أيشكر بنو إسرائيل في حال الحسنة ؟ لقد ثبت كفرانهم السّريع للنّعم . ويتحوّل السّياق إلى الحديث في بعض نعم الله تعالى على موسى الكليم عليه السّلام .

مجيء موسى عليه السّلام لميقات ربّه واصطفاؤه بالرّسالة وبالكلام
الآيات (١٤٢ - ١٤٧)

واعد الله سبحانه وتعالى موسى عليه السّلام ثلاثين ليلةً يصومها ويكلّمه جلّ وعلا بعدها ، وأمره جلّ وعلا بصيام عشر ليالٍ أخر لأنّه عليه السّلام بعد صيام الثّلاثين ليلةً أنكر خُلوف فمه وتغيّر رائحته فاستاك فأُمر بصيام اللّيالي العشر ليكلّمه بخلوف فمه . والله تعالى أعلم . وحِرْصاً من موسى عليه السّلام على عقيدة التّوحيد ، وخوفاً من انحراف بني إسرائيل عن الصّراط المستقيم ، خاصّةً وقد طلبوا من موسى عليه السّلام أن يجعل لهم صنماً يعبدونه على غرار الأصنام الّتي يعبدها الكافرون ، يقول موسى عليه السّلام لشقيقه هارون عليه السّلام كن خليفتي في قومي بني إسرائيل وأصلح كلّ أحوالهم وبخاصّة عقيدتهم ولا تتّبع سبيل المفسدين غير المصلحين .

ولمّا جاء موسى عليه السّلام لوقت وَعْدِ الله تعالى إيّاه بكلامه فيه وكلمه ربّه جلّ وعلا بلا واسطة طلب موسى عليه السّلام من ربّه الكريم الّذي خصّه بالكلام أن يكرمه برؤيته جلّ وعلا . ويجيب الرّبّ سبحانه وتعالى عبده الكليم موسى عليه السّلام بأنّه لن يراه جلّ وعلا . ويعطي جلّ وعلا موسى عليه السّلام الدّليل على أنّه لن يراه جلّ وعلا في الدّنيا لأنّه لايستطيع ذلك ، فها هو ذا جلّ وعلا يتجلّى للجبل ويستوي الجبل بالأرض ويخرّ موسى عليه السّلام مغشيّاً عليه ، وحينما يفيق ينزّه الله تعالى عن كلّ ما لا يليق به جلّ وعلا ومن ذلك رؤيته جلّ وعلا في الدّنيا ، ويتوب إليه تعالى ، ويقرّر عليه السّلام أنّه أوّل المؤمنين بأنّه جلّ وعلا لا يرى في الحياة الأولى .

ويبيّن الرّبّ جلّ وعلا لموسى عليه السّلام أنّه جلّ وعلا اصطفاه على النّاس برسالاته إلى بني إسرائيل وبكلامه جلّ وعلا له . ويأمره جلّ وعلا بأن يأخذ ما أعطاه الله تعالى إيّاه من أمرٍ ونهي وأن يكون من الشّاكرين لله تعالى نعمه وآلاءه . ويقرّر السّياق أنّ ربّ العزّة كتب لموسى عليه السّلام في الألواح من كلّ شيءٍ موعظةً ترقّ لها القلوب ، وتفصيلاً لكلّ

شيءٍ في مجال الحرام والحلال . إنّ على موسى عليه السّلام أن يأخذ كلّ ذلك بقـــوّة وأن يعمله بجدٍّ واجتهاد ، وأن يأمر قومه بأن يأخذوا بأحسن تلك الأوامر والنّواهـــي في حال التّخيير ، وبأن يأخذوها كما هي في حال عدم التّخيير . ويقرّر السّياق أنّ الله سبحانه وتعالى سيُرى بني إسرائيل المتّجهين إلى بلاد الشّام دار الفاسقين المنحرفين عن الصّراط المستقيم . ويقرّر السّياق أنّ الله سبحانه وتعالى سيصرف عن آياته جلّ وعلا المعنويّة والماديّة الّذين يتكبّرون في الأرض بغير الحقّ وإن يروا كلّ آيةٍ دالّةٍ على قدرة الله تعالى لايؤمنوا بها ، وإن يروا سبيل الهدى لايتّخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الضّلال يتّخذوه سبيلا . إنّ ذلك بسبب تكذيبهم بآيات الله تعالى وغفلتهم عنها . كما يقرّر السّياق أنّ الّذين كذّبوا بآيات الله تعالى وبلقاء الآخرة حبطت أعمالهم الصّالحة لأنّهم لم يريدوا بها وجه الله تعالى وهم إنّما يجزون جزاء ما كانوا يعملون .

اتّخاذ قوم موسى عليه السّلام من بعده العجل إلهاً
وغضب موسى الشّديد على قومه
الآيات (١٤٨ - ١٥٤)

ذهب موسى عليه السّلام إلى طور سَيْنَاء لميقات ربّه وفي هذه الأثناء اتّخذ قومه عليه السّلام رغماً عن هارون عليه السّلام العجل إلهاً معبوداً من دون الله تعالى ، وكان مصنوعاً من الذّهب صنعه لهم السّامريّ ، وكان له خوار ، ربّما بفعل الرّيح الّتي تمرّ فيه ، وربّما بسبب الحياة الّتي دّبت فيه بإذن الله تعالى بسبب التّراب الّذي أخذه السّامريّ من حافر فرس جبريل عليه السّلام ووضعه في فم العجل . والعجيب في أمر بني إسرائيل أنّهم اتّخذوا العجل إلهاً وهم يرون أنّه لايكلّمهم ولا يهديهم سبيلاً . لقد اتّخذوه إلهاً وهم ظالمون بوضع العبادة في غير موضعها . وندم بنو إسرائيل على عبادتهم العجل ورأوا أنّهم قد ضلّوا وقالوا لئن لم تشملنا رحمة الله تعالى ومغفرته لنكوننّ من الخاسرين . ولمّا رجع موسى عليه السّلام من ميقات ربّه وقد عرف أنّهم عبدوا العجل ورآهم يعبدون العجل كان غضبه عليه السّلام عاصفاً ، وحزنه شديداً ، وقال لهم بئسما خلفتموني من بعدي ، تركتكم تعبدون الله تعالى وعدت إليكم فوجدتكم تعبدون العجل ، أعجلتم أمر ربّكم ، واستعجلتم مجيئي

إليكم بالتّوراة وهو مقدّرٌ بعد انتهاء ليالي المواعدة الأربعين . وألقى موسى عليه السّلام ألواح التّوراة الّتي تكسّرت فيما يقال ، وأخذ برأس أخيه وبلحيته كذلك يجرّه إليه . وقال هارون عليه السّلام لشقيقه موسى عليه السّلام يا ابن أمي ، وذلك بقصد إثارة عاطفة الحنان في نفسه تجاه ثورته العارمة لعبادة بني إسرائيل العجل ، إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني حينما أمرتهم ألا يعبدوا العجل وأن يفردوه جلّ وعلا بالعبادة فلا تدخل يا ابن أمّي السّرور على قلوب الأعداء بغضبك عليّ وبطشك بي ولا تجعلني مع القوم الظّالمين . أما وقد تبيّن موسى عليه السّلام أنّ شقيقه هارون مغلوبٌ على أمره وأن نهيه قومه عن عبادة العجل لم ينفع سأل ربّه جلّ وعلا أن يغفر له ذنبه الّذي ارتكبه في حقّ أخيه وأن يغفر لأخيه وأن يدخلهما جلّ وعلا في رحمته فإنّه أرحم الرّاحمين .

ويتحوّل السّياق إلى الّذين عبدوا العجل فيقرّر أنّ الّذين اتّخذوا العجل إلهاً سينالهم غضبٌ من ربّهم في الحياة الدّنيا فلن تقبل لهم توبة إلاّ بعد أن يقتل بعضهم بعضاً ، وستنالهم ذلّة فهي مضروبةٌ عليهم . هذا جزاء المفترين على الله تعالى الكذب من بني إسرائيل وسواهم . ويفتح السّياق باب التّوبة على مصراعيه إلى يوم الدّين . أما وقد سكن غضب موسى عليه السّلام وسكت وهو الّذي كان بمنزلة من يأمر موسى عليه السّلام بفعل ما فعل وقول ما قال أخذ ألواح التّوراة الّتي كان قد رمى بها إلى الأرض وفيما نُسخ منها وكتب هدىً من الضّلالة ورحمةٌ للّذين هم يخضعون لله تعالى ويخشون عقابه .

توبة بني إسرائيل من عبادة العجل
ووجوب اتباع الناس جميعاً محمداً صلى الله عليه وسلم
الآيات (١٥٥ - ١٥٨)

اختار موسى عليه السّلام سبعين رجلاً ممّن لم يعبدوا العجل للوقت الّذي وعده الله تعالى أن يلقاه فيه بهم للتّوبة من اتّخاذ سفهائهم العجل إلهاً . وحينما كانوا على جبل الطّور للتّوبة أخذتهم الزّلزلة الشّديدة فتضرّع موسى عليه السّلام لربّه جلّ وعلا قائلاً : يا ربّ لو شئت أهلكتهم من قبل لسكوتهم عن عابدي العجل ولو شئت أهلكتني فلك وحدك لا

شريك لك الخلق والأمر . أتهلكنا يا ربّنا بما فعل السّفهاء منّا بعبادة العجل . ما هي إلاّ فتنتك وامتحانك فَيَضِلّ من تشاء ضلاله ويَسْقُط ، ويهتدي من تشاء هدايته وينجح . أنت مولانا فاغفر لنا ذنوبنا وارحمنا فأنت خير الغافرين والرّاحمين . واكتب لنا في هذه الدّنيا الصّالحات من الأعمال ، وفي الآخرة المغفرة للسّيّئات إنّا تبنا إليك . قال الله تعالى : إنّ عذابي المحدود أصيب به من أشاء وإنّ رحمتي الواسعة تشمل كلّ شيء وكلّ مخلوق ، وسأكتب هذه الرّحمة للّذين يتّقون النّار بعمل الصّالحات واجتناب السّيّئات ، والّذين يؤتون الزّكاة المفروضة على الأغنياء حقّاً للفقراء ، والّذين هم بآياتي يؤمنون . وإنّ الّذين تتحقّق فيهم تلك النّعوت هم أولئك المؤمنون : ﴿ الّذين يتّبعون الرّسول النّبيّ الأمّيّ ﴾ محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم الّذي يجده اليهود والنّصارى : ﴿ مكتوباً عندهم في التّوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطّيّبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم ﴾ وثقلهم ويضع عنهم كذلك الأغلال والمشقّات والأثقال الّتي كانت عليهم . إنّ الّذين آمنوا بهذا الرّسول الكريم وعظّموه ووقّروه ونصروه واتّبعوا النّور الّذي أُنْزِل معه صلّى الله عليه وسلّم من قرآنٍ كريم وسنّة مطهّرة أولئك هم المفلحون . ويتحوّل السّياق إلى خاتم النّبيين وأشرف المرسلين محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم ، رحمة الله تعالى المهداة ونعمته جلّ وعلا المسداة ، الّذي يخاطب كلّ النّاس في سورة الأعراف المكّيّة قائلاً ﴿ يا أيّها النّاس إنّي رسول الله إليكم جميعاً الّذي له ملك السّماوات والأرض لا إله إلاّ هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النّبيّ الأمّيّ الّذي يؤمن بالله وكلماته واتّبعوه لعلّكم تهتدون ﴾ .

مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَادِلُونَ وَظَالِمُونَ

الآيات (١٥٩-١٦٢)

يقرّر السّياق أنّ من بني إسرائيل جماعةً مهتديةً تهدي الآخرين بالحقّ وبه تعدل في الحكم لها أو عليها . كما يقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى فرّق بني إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السّلام اثنتي عشرة جماعةً وأمّة . وحينما عطشوا في التّيه أوحى الله تعالى لموسى عليه السّلام أن يضرب بعصاه الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً انبجاساً

خفيفاً ثمّ انفجرت انفجاراً عنيفاً وقد علمت كلّ جماعة موضع شربها . وحينما آذتهم حرارة الشّمس في التّيه ودعا موسى عليه السّلام ربّه جلّ وعلا جعل الله سبحانه وتعالى السّحاب فوقهم كالمظلّة الّتي تمنع عنهم أشعة الشّمس وحرارتها ، وأنزل الله سبحانه وتعالى عليهم المنّ وهو عبارةٌ عن صمغةٍ حلوةٍ بيضاء كالثّلج تعلق بالأشجار بين طلوع الفجر وطلوع الشّمس ، كما أنزل عليهم طير السُّمانَي الّذي يأخذون منه ما اشتهته أنفسهم . إنّهم قيل لهم كلوا من طيّبات ما رزقكم الله تعالى وقد ظلموا أنفسهم بالكفران والعصيان . وإنّهم قيل لهم اسكنوا هذه القرية المقدّسة وكلوا منها ما شئتم وحيث شئتم وقولا مسألتنا أن تحطّ ذنوبنا وادخلوا الباب سجّداً نغفر لكم ذنوبكم ونكفّر عنكم سيّئاتكم وسنزيد المحسنين منكم من فضلنا الّذي ليس له حدود . فبدّل بنو إسرائيل الظّالمون القول كما بدّلوا الفعل فدخلوا زاحفين على أستاهم قائلين : حنطةٌ في شَعْر فأرسل الله سبحانه وتعالى عليهم عذاباً من السّماء بسبب ظلمهم .

بَنُوا إِسْرَائِيلَ المُعْتَدُونَ فِي السَّبْتِ يُمْسَخُونَ قِرَدَةً
الآيات (١٦٣-١٦٦)

من مظاهر ظلم بني إسرائيل أنفسهم اعتداء سكّان قرية أيلة على شاطىء البحر الأحمر بين مدين والطّور بالاحتيال ، يوم السّبت المخصّص للعبادة ، للسّمك بحبسه يوم السّبت لاصطياده بعد ذلك وبيعه وأكله . وقد مكر الله سبحانه وتعالى بهم فكانت حيتانهم تأتيهم يوم السّبت ظاهرةً فوق الماء متحرّشةً بهم كي يصطادوها وفي غير يوم السّبت لا تأتيهم أصلاً . وكلّ ذلك ابتلاءٌ من الله تعالى لهم بسبب فسقهم وعصيانهم . وهؤلاء الصّائدون أحد أقسام القرية الثّلاثة ، إمّا القسم الثّاني فهو النّاهي عن الصّيد ، وأمّا القسم الثّالث فهو السّاكت . وقد تحدّث السّياق عن القسمين الأوّل والثّاني وبادل القسم السّاكت عن النّهي سكوتاً بسكوت . إنّ القسم السّاكت يسأل القسم النّاهي لم تعظون قوماً سوف يهلكهم الله تعالى بسبب عصيانهم أو يعذّبهم عذاباً شديداً ؟ قالوا نفعل ذلك معذرةً إلى

ربّكم جلّ وعلا وربّ كل شيء كيلا نلام على التّقصير ولعلّ المعتدين يتّقون الله تعالى ويكفّون عن الاعتداء على السّمك يوم السّبت . فلمّا نسي القسم المعتدي الموعظة الّتي وُعِظوا بها وتمادوا في فسقهم أنجى الله سبحانه وتعالى القسم النّاهي وأخذ المعتدين بعذابٍ شديد بسبب فسقهم . وقد سكت السّياق عن القسم السّاكت الّذي يُظَنّ أنّه لحق بالنّاجين . فلمّا تمرّد المعتدون عن ترك ما نهوا عنه من الاصطياد يوم السّبت مسخهم الله تعالى قردةً خاسئةً ذليلةً قيل إنّها عاشت ثلاثة أيّامٍ فقط ثمّ ماتت .

لَيَبْعَثَنَّ اللهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
وَفِي الْقَوْمِ صَالِحُونَ وَطَالِحُونَ
الآيات (١٦٧ - ١٧١)

يخاطب ربّ العزّة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم في أولى آيات القِسْم بالقول : واذكر يا محمّد إذ أعلن ربّك ليبعثنّ على بني إسرائيل إلى يوم القيامة من يكلّفهم أسوأ العذاب وأشدّه . وإنّ ربّك يا محمّد لسريع العقاب وإنّه جلّ وعلا لغفورٌ رحيم لمن تاب وأناب . وكأنّ هذه الآية الكريمة أشدّ آيات الذّكر الحكيم تهديداً لبني إسرائيل . والله أعلم . ويقرّر السّياق أنّ الله سبحانه وتعالى فرّق بني إسرائيل في الأرض جماعات ، منها الصّالح ومنها الطّالح ، واختبرهم الله تعالى بالحسنات والسّيّئات لعلّهم يرجعون إلى بارئهم جلّ وعلا . فخلف من بعد ذلك الخَلَفِ الصّالح خَلْفُ سَوء ورثوا التّوراة ولكنّهم لم يعملوا بها فأخذوا عوضاً عنها عرض هذه الحياة الدّنيا ويقولون سيغفر الله تعالى لنا ويتوبون إلى الله تعالى . وحينما يأتيهم عرضٌ آخر زائلٌ من أعراض الدّنيا يأخذونه ويكرّرون القول سيغفر الله تعالى لنا وهكذا دواليْك . وفي أسلوب الاستفهام التّقريريّ المشوب بالإنكار على بني إسرائيل يأتي القول : ﴿ ألم يُؤخَذْ عليهم ميثاق الكتاب ألاّ يقولوا على الله إلاّ الحقّ ودرسوا ما فيه ﴾ ألم يدرسوا ما في التّوراة ؟ لقد درسوه وفهموه وخالفوه . ويقرّر السّياق أنّ الدّار الآخرة خيرٌ للّذين يتّقون وينكر عليهم ألاّ يستعملوا عقولهم ، كما يقرّر أنّ الّذين يستمسكون بالكتاب السّماويّ ويطبّقون تعاليمه ، والمعروف أنّ القرآن الكريم ناسخٌ لكلّ كتابٍ سماويّ سابق ، ويقيمون الصّلاة عماد الدّين ، فإنّ الله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر المحسنين .

ويتحدّث السّياق عن بني إسرائيل على عهد موسى عليه السّلام منبّهاً إلى فطرتهم المعوجّة حتّى إنّهم وقد رفضوا الامتثال لتعاليم التّوراة رفع جلّ وعلا جبل الطّور فوقهم كأنّه مظلّة حتّى أيقنوا أنّه واقعٌ بهم ، وقيل لهم خذوا ما أعطيناكم في التّوراة من تعاليم بجدٍّ واجتهاد ، واذكروا ما فيه لعلّكم تتّقون الله تعالى بفعل الأوامر واجتناب النّواهي ووقتها فقط قالوا سمعنا وأطعنا .

يأخذ الله العهد من بني آدم وهم في عالم الذّر بإفراده جلّ وعلا بالعبادة
الآيات (١٧٢ - ١٧٤)

يأمر ربّ العزّة حبيبه المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يذكر إذ أخذ ربّه جلّ وعلا من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وهم في عالم الذّرّ وأشهدهم على أنفسهم قائلاً : ألست بربّكم قالوا بلى شهدنا أنّك ربّنا لئلاّ تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا التّوحيد غافلين ، ولئلاّ تقولوا إنّما أشرك آباؤنا من قبل وكنّا ذرّيّة لهم من بعدهم نحذو حذوهم ونقتفي أثرهم ، ولئلاّ تسألوا وقد حقّ عليكم العذاب قائلين : أفتهلكنا يا ربّنا بما فعل المبطلون في دعواهم إلهاً غير الله تعالى المشركون . إنّه جلّ وعلا كما فصّل الميثاق وبيّن العهد الّذي أخذه منّا ونحن في عالم الذّر يفصّل آي الذّكر الحكيم ولعلّ المبطلين يرجعون إلى الحقّ .

مثل الّذي ينسلخ من آيات الله كمثل الكلب والكافرون كالأنعام بل هم أضلّ
الآيات (١٧٥ - ١٧٩)

يأمر السّياق المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يتلو على بني إسرائيل المعاصرين له صلّى الله عليه وسلّم خبر الّذي آتاه الله تعالى علم التّوراة وهو بلعام بن باعوراء أو بلعم

فانسلخ من تلك الآيات كما تنسلخ الحيّة من جلدها فأتبعه الشّيطان الرّجيم وكان له قريناً وقائداً فكان من الغاوين . ولو شاء الله سبحانه وتعالى أن يرفعه بالعلم الّذي علّمه الله تعالى إيّاه لرفعه ولكنّ الرّجل لم يعمل بما عمل ولصق بالأرض وملكت الحياة الدّنيا شغاف قلبه واتّبع هواه ولم يعد في كلّ الأحوال مصغياً لداعٍ ولا مستجيباً لناصح فمثله في ثباته على الكفر كمثل الكلب الثّابت على اللّهث في حال الحمل عليه والإزعاج له ، وفي حال التّرك له والغفلة عنه . وإنّ مثل ذلك الكلب الثّابت على اللّهث في كلّ حال كمثل القوم الّذين كذّبوا بآيات الله تعالى في حال تلاوة الآيات عليهم وفي حال تركهم . فاقصص يا محمّد القصص لعلّهم يتفكّرون في هذه الآيات البيّنات ويعودون إلى جادّة الصوّاب . بئس المثل مثل القوم الّذين كذّبوا بآيات الله تعالى وكانوا يظلمون أنفسهم . إنّ من يهديه الله تعالى هو المهتدى حقّا وإنّ من يضلّه الله تعالى فهو الخاسر حقّاً كبلعم بن باعوراء وأمثاله من الضالين عن عمدٍ وسبق إصرار . وإنّ الله سبحانه وتعالى قد خلق لجهنّم كثيراً من هؤلاء الضّالّين من الجنّ والإنس . إنّ لهؤلاء قلوباً لا يفقهون بها ولايستدّلون بها ، وإنّ لهم أعيناً لا يبصرون بها الحقّ ونور الهداية ، وإنّ لهم آذاناً لا يسمعون بها سماع تدبّر . إنّ أولئك كالأنعام بل هم أضلّ ، وإنّ أولئك هم الغافلون حقّا .

لله الأسماء الحسنى
وانظروا في ملكوت السماوات والأرض
الآيات (١٨٠ - ١٨٦)

يقرّر السّياق أنّ لله تعالى الواحد الأحد الفرد الصّمد الأسماء الحُسْنى . والمعروف أنّ لفظ الجلالة « الله » هو الاسم ، وأنّ الأسماء الأخرى صفات ، وأنّ عظيم الصّفات « الرّحمن » فعلى عباد الله تعالى أن يدعوه جلّ وعلا بأسمائه الحُسْنى وصفاته العُلَى وأن يهجروا الكافرين الّذين انحرفوا بأسمائه جلّ وعلا عن جادّة الصّواب وألحدوا فيها واشتقّوا منها أسماءً لآلهتهم كاللّات من الله والعُزّى من العزيز ومناة من المنّان . إنّ أولئك سيجزون عقاب ما كانوا يعملون . وفي المقابل هنالك المؤمنون المهتدون الّذين يهدون الآخرين بالحقّ وبه

يَعْدلون ويحكمون ولا يجورون . أمّا الّذين كذّبوا بآيات الله تعالى ككفّار مكّة فإنّ الله سبحانه وتعالى سيستدرجهم من حيث لا يعلمون ، ويملي لهم جلّ وعلا ويمهلهم حتّى يأخذهم أخذ عزيزٍ مقتدرٍ وهم ظالمون ، وذلك هو كيده المتين جلّ وعلا . ويحثّ السّياق كفّار مكّة على التّفكّر والتّدبّر ، وينفي أن يكون بالمصطفى صلّى الله عليه وسلّك جِنّة ، ويقرّر أنه عليه الصّلاة والسّلام ليس سوى نذيرٍ بيّن الإنذار . كما يحثّ السّياق كفّار مكّة وسواهم على أن ينظروا في ملك الله تعالى العظيم في السّماوات والأرض ، وفيما خلق الله تعالى من شيء جلّ أو صغر ، عزّ أوهان ، وفي أنّه عسى أن يكون قد اقترب أجلهم وحانت وفاتهم وهم كافرون فبأيّ وجهٍ يلقون الله تعالى وبأيّ حديثٍ بعد القرآن الكريم معجزة الإسلام الكبرى يؤمنون ؟ إنّ من يضلل الله تعالى فلا هادي له إلى سبيل ويذرهم جلّ وعلا في طغيانهم يترددّون ويتحيّرون .

عِلْمُ السَّاعَةِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ

الآيات (١٨٧ ، ١٨٨)

يسأل كفّار مكّة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم عن وقت قيام السّاعة ويؤمر بأن يقول لهم : ﴿ إنّما علمها عند ربّي ﴾ ويقرّر السّياق أنّ الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له هو الّذي يظهرها على جليّتها وحقيقتها لوقتها ، وأنّ السّاعة حينما تقوم تثقل على أهل السّماوات والأرض وتصعب لما ينالهم من أذاها ، وأنّ السّاعة لا تأتي إلاّ فجأة . ويكرّر كفّار مكّة السّؤال ويلحفون فيه هم وسواهم كأنّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم حفيٌّ بها دائم السّؤال عنها حتّى خصّه الله تعالى بعلم قيامها . ويؤمر عليه الصّلاة أن يقول لكفّار مكّة ولسائر السّائلين : ﴿ إنّما علمها عند الله ﴾ ولكنّ أكثر النّاس من كفّار مكّة وسواهم لا يعلمون هذه الحقيقة . ويؤمر عليه الصّلاة والسّلام أن يستمرّ قائلاً للملحفين في السّؤال : إنّي لا أملك لنفسي ، فضلاً عن غيري ، نفعاً أُقَرِّبُه ، ولا ضَرّاً أُبْعِدُه ، إلاّ ما شاء الله تعالى لي من خير أو شرّ ، نفعٍ أو ضرّ . ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير الّذي أخذت في أسبابه وما مسّني السّوء الّذي أوصدت أبوابه . ما أنا إلاّ نذيرٌ للكافرين بالنّار وبئس القرار ، وبشيرٌ للمؤمنين بالجنّة ونعم عقبى الدّار .

اللهُ تعالى هوَ الخالقُ القادرُ على كلِّ شيءٍ والآلهةُ الأخرى مخلوقةٌ عاجزةٌ مقهورةٌ

الآيات (١٨٩ – ١٩٨)

يبيّن هذا القسم القدرة المطلقة للذّات العليّة ويبيّن في المقابل العجز المطبق للآلهة المزعومة ، فيقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذي خلقنا من آدم عليه السّلام الّذي جعل الله تعالى منه زوجه حوّاء عليها السّلام ليسكن إليها ويهنأ بها فلمّا تغشّى آدم عليه السّلام حوّاء عليها السّلام وجامعها حملت حملاً خفيفاً فمرّت به ، ذهبت به وجاءت ، قامت به وقعدت ، لسهولته أوّل الأمر ، فلما أثقلت ودنا وضعها دعا الزّوجان ربّهما جلّ وعلا لئن آتيتنا يا ربّنا وأعطيتنا ولداً صالحاً أو بنتاً صالحةً لنكوننّ من الشّاكرين لك الّذين يوحّدونك . ويتحوّل السّياق إلى جنس الزّوجين المشركين فيقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى حينما أعطى الزّوجين اللّذين جرى على لسانهما ما جرى على لسان آدم وحوّاء ، حينما أعطى الزّوجين ولداً كاملاً صالحاً جعلا لله تعالى شركاء فيما أعطاهما كأن سمّياه عبدالعزّي . : ﴿ فتعالى الله عمّا يشركون ﴾ وينكر السّياق بشدّة أن يشرك المشركون مع الله تعالى في العبادة ما لا يخلق شيئاً وهم مخلوقون لله تعالى كعابديهم سواءً بسواء ، وهم لايستطيعون لعابديهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون . وإن تدعوهم أيّها النّاس إلى الهدى لا يّتبعوكم وسواءٌ في حقّهم أن تدعوهم وألاّ تدعوهم لأنّها جمادات . وفي أسلوب الاستفهام ينكر السّياق أن يكون لتلك الأصنام أرجلٌ تمشي بها ، أو أيدٍ تبطش بها ، أو أعينٌ تبصر بها ، أو آذانٌ تسمع بها . ويأمر السّياق المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يقول لأولئك المشركين : ادعوا معبوديكم من دون الله تعالى ثمّ كيدوا لي كيداً ولا تمهلوني ولا تُنْظرون . كما أُمر عليه الصّلاة والسّلام أن يقول : إنّ متولّي شئوني هو الله تعالى الّذي نزّل القرآن الكريم والله تعالى هو وليّ الصّالحين . أمّا الّذين تدعون من دون الله تعالى فإنّهم لا يستطيعون نصركم ولا نصر أنفسهم . وإن تدعوهم إلى الهدى لايسمعوا لأنّ الأصنام جمادات ، وتراهم أيّها الإنسان وتحسب أنّهم ينظرون إليك بينما هم لا ينظرون لأنّهم ليس لهم العيون أصلاً ، وتحسب أنّهم يبصرونك بينما هم لا يبصرون ولا يرون لأنّهم ليس عندهم العين الّتي بها ينظرون فكيف يكون عندهم القوّة الّتي بها يُبْصِرون ويرون !

من توجيهات القرآن الكريم
الهدى والرحمة للمؤمنين
الآيات (١٩٩ - ٢٠٦)

يأمر السّياق المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ، الّذي لنا نحن المسلمين فيه أسوةٌ حسنة ، أن يأخذ العفو من أخلاق النّاس وما سهل منها وقرب تناوله ، وأن يأمر بالمعروف شرعاً وعقلاً ، وأن يعرض عن الجاهلين الحمقى . فإن صرفك أيّها الإنسان عن الخير صارفٌ من الشّيطان الرّجيم فاستجر بالله تعالى واستعذ به منه إنّه جلّ وعلا سميعٌ لكلّ قول عليمٌ بكلّ نيّةٍ وفعل . ويقرّر السّياق أنّ الّذين اتّقوا الله تعالى إذا مسّهم طائفٌ من الشّيطان وألمّ بهم طيفٌ منه تذكّروا عقاب الله تعالى وثوابه فانصرفوا عن الشّرّ وأقبلوا على الخير وأبصروا طريق الهدى ، بينما إخوان الشّياطين يمدّهم إخوانهم من شياطين الجنّ والإنس في الغيّ والشّرّ ولا يُقْصِر كلٌّ من الفريقين ولايمسك عن التّمادي في غيّه . الشّياطين لايكفّون عن الإمداد بالشّرور ، وإخوان الشّياطين لا يكفّون عن تلبية النّداء لكلّ ناعق . وإنّ من الّذين استجابوا لنداء الشّيطان الرّجيم والنّفس الأمّارة بالسّوء كفّارَ مكّة الّذين اقترحوا آياتٍ ماديّة تقلّ كلّها عن القرآن الكريم في مجال البيان والإقناع . وحينما لا يأتي المصطفى صلّى الله عليه وسلّم بالآيات الّتي اقترحوا يقولون له عليه الصّلاة والسّلام هلّا أنشأتها من ذات نفسك ! ويؤمر عليه الصّلاة والسّلام أن يقول لهم إنّه عليه الصّلاة والسّلام إنّما يتّبع ما أوحي الله تعالى من آياتٍ يصطفيه جلّ وعلا بها ، وإنّ هذا القرآن الكريم بصائرُ من ربّكم وبيانٌ لكم وحججٌ عليكم وهدىً من الضّلالة ورحمةٌ لقومٍ يؤمنون . ويرشد السّياق المسلمين إلى أدب التّعامل مع القرآن الكريم حينما يُتْلى ويقرأ . إنّ على المسلمين أن يستمعوا له وأن يصغوا إليه وألاّ يتكلّموا ، فهذا هو معنى القول : ﴿فاستمعوا له﴾ وأن ينصتوا له ويتدبّروه ويتفكّروا فيه ويتأمّلوه ، فهذا هو معنى القول : ﴿ وأنصتوا ﴾ أمّا الثّمرة اليانعة للاستماع والإنصات فإنّها الرّحمة الّتي لعلّها تشمل المستمعين للقرآن الكريم المنصتين وتعمّهم . ويأمر السّياق المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ابتداءً ، أمّته عليه الصّلاة والسّلام

اتّباعاً ، أن يذكر كلّ واحدٍ منهم ربّه جلّ وعلا في نفسه تضرّعاً وتذلّلاً ، خيفةً وتخشّعاً ، جهراً وسرّاً ، بالغدوّ والآصال وفي كلّ الأوقات والأحوال ، كما ينهانا السّياق عن أن نكون من الغافلين عن ذكر الله تعالى ، ويبيّن أن الملائكة الّذين هم عند ربّنا جلّ وعلا ، لا يستكبرون عن عبادته جلّ وعلا بل يتضرّعون له ويتذلّلون ، ويسبّحونه جلّ وعلا ويعظّمونه وينزّهونه عن كلّ ما لايليق به جلّ وعلا ، وله وحده لا شريك له يسجدون .

إنّ حظّكم أيّها النّاس من هذه النّعوت ينبغي أن يكون موفوراً فقد كرّمكم الله تعالى وحملكم في البرّ والبحر ورزقكم من الطّيّبات وفضّلكم على كثيرٍ ممّن خلق جلّ وعلا تفضيلاً .

ومن البيّن حديث السّورة الكريمة عن القرآن الكريم في آخرها ، وهو من جنس الحديث عن القرآن الكريم في أوّلها ، وإنّ الحديث هنا وهنالك من الأدّلة المتواترة على حديث كلّ سور القرآن الكريم الّتي تبدأ بالحروف المقطّعة ، ومنها سورة الأعراف الّتي تبدأ بالقول : ﴿ المص ﴾ على حديث كلّ سور القرآن الكريم الّتي تبدأ بالحروف المقطّعة عن القرآن الكريم ، بطريقٍ مباشر أو غير مباشر .

التفسير

شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمُهُ

الآيات (٨٨-٩٣)

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

تقرّر الآية الكريمة أنّ الملأ الّذين استكبروا من قوم شعيب عليه السّلام خطيب الأنبياء ، وأنّ كبار قومه الّذين أشركوا مع الله تعالى سواه ، وكذّبوا شعيباً عليه السّلام ، واستكبروا عن عبادة الله تعالى والامتثال لأوامره جلّ وعلا ونواهيه ، قالوا لشعيبٍ عليه السّلام ، استمراراً في غيّهم وتمادياً في طغيانهم : ﴿ لنخرجنّك يا شعيب والّذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودنّ في ملّتنا ﴾ .

إنّ عمليّة الخروج من الدّيار والهجرة من الأرض ليست بالعمليّة السّهلة وقد قال عزّ من قائل[1] : ﴿ ولو أنّا كتبنا عليهم أن اقتُلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلاّ قليلٌ منهم . ولو أنّهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشدّ تثبيتا . وإذاً لآتيناهم من لدنّا أجراً عظيماً . ولهديناهم صراطاً مستقيماً ﴾ وإنّ الملأ الّذين استكبروا من قوم شعيبٍ عليه السّلام لا يتورّعون عن إرغام رسول الله تعالى إليهم والفئة المؤمنة على إخراجهم من ديارهم أو العودة عن دين التّوحيد إلى الشّرك !

يا له من استكبارٍ وطغيان .

ويكون من شعيب عليه السّلام والّذين آمنوا معه القول : ﴿ أولو كنّا كارهين ﴾ والمعنى : أنعود إلى ملّتكم ، ونكفر بالله تعالى ، ونشرك معه جلّ وعلا غيره ، ونترك دين الإسلام ، ولو كنّا كارهين لذلك ! أمصيرنا الإخراج من قريتنا إن لم نرتدّ عن دين الإسلام ! لقد أدخلت ألف الاستفهام على واو ولو[2] .

وحينما يقول الكافرون لشعيبٍ عليه السّلام والّذين آمنوا معه ﴿ أو لتعودنّ في ملّتنا ﴾ وهل كان شعيبٌ عليه السّلام وقتاً من الأوقات على ملّتهم ؟ .

---

(١) سورة النّساء ٦٦ ــ ٦٨ .

(٢) تفسير الطّبريّ ٢/٩ .

لم يكن عليه السّلام وقتاً من الأوقات على ملّتهم . وإنّما غلّبوا في الخطاب الجمع على الواحد ، وأدخل شعيب في لتعودنّ بحكم التّغليب ، إذ لم يكن في ملّتهم أصلاً حتّى يعود فيها[1] .

قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾

ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ : ربّنا احكم بيننا وبينهم بحكمك الحقّ الّذي لا جور فيه ولا حيف ولا ظلم ولكنّه عدلٌ وحقّ[2] .

وأنت خير الفاتحين : يعني خير الحاكمين[3] .

يستمرّ شعيبٌ عليه السّلام مخاطباً قومه الّذين استكبروا عن عبادة الله تعالى وطلبوا منه عليه السّلام ومن أتباعه المؤمنين أن يرتدّوا على أعقابهم فينقلبوا كافرين : قد افترينا على الله تعالى كذباً ، وتخرّصنا عليه من القول باطلاً ، إن نحن عدنا في ملّتكم ، وارتددنا عن دين الإسلام لله ربّ العالمين ، إلى حمأة الشّرك ودرك الكفر بعد أن نجّانا الله سبحانه وتعالى من ملّتكم ، وأنقذنا من الشّرك ، وهدانا إلى الصّراط المستقيم . وما يكون لنا أن نعود في ملّتكم إلاّ أن يشاء الله ربّنا فيخذلنا ــ لا سمح الله ــ ويكتب الشّقاوة علينا ، وما ينبغي لنا أن نرتدّ عن دين الإسلام إلى شرككم : ﴿ إلاّ أن يكون سبق لنا في علم الله أنّا نعود فيها فَيَمْضي فينا حينئذٍ قضاء الله فينفّذ مشيئته علينا ﴾[4] وسع ربُّنا جلّ وعلا كلّ شيءٍ

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن ١/١٩٧ ضبط وتحقيق أحمد شمس الدّين الطّبعة الأولى بيروت ، لبنان ١٤٠٨هـ ١٩٨٨ م .

(٢) تفسير الطّبريّ ٣/٠ .

(٣) تفسير الطّبريّ ٣/٩ .

(٤) تفسير الطّبريّ ٢/٩ .

علماً ، وأحاط علمه بكلّ شيءٍ ، فلا يخفى عليه جلّ وعلا شيءٌ في الأرض ولا في السّماء . على الله تعالى وحده لا شريك له توكّلنا ، وعليه جلّ وعلا دون سواه اعتمدنا . ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ ، وأحكم بيننا وبين ملئنا الّذين يدعوننا إلى نبذ دين التّوحيد بالعدل ، وأنت يا ربّنا ، يا من توكّلنا عليك واستعنّا بك ولجأنا إليك ، خير الفاتحين وأعدل الحاكمين .

وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾

وأصرّ الملأ الّذين كفروا من قوم شعيبٍ عليه السّلام على كفرهم وركب أشرافهم رءوسهم واجتهدوا في توسعة دائرة كفرهم وقالوا لقومهم كفراً وصدّاً عن سبيل الله ، وذلك في أسلوب القَسَم ، لئن اتّبعتم شعيباً عليه السّلام الّذي يدعوكم إلى صراط العزيز الحميد إنّكم إذاً لخاسرون لأنّكم تهجرون الأصنام ، وتتركون دين الآباء والأجداد ! ويلاحظ أنّ الآية الكريمة تصف القوم بالكفر ، وهم يريدون من قومهم أن يكونوا كفّاراً مثلهم ، وسبق أن وُصِف القوم بالاستكبار والعلوّ في الأرض والطّغيان . ويلاحظ تجانس كلٍّ من الاستكبار والكفر مع القوم المستكبرين الكافرين .

أمّا وقد حقّت على القوم كلمة العذاب فقد أخذتهم الرّجفة من الأرض الشّديدة[1] والزّلزلة العظيمة ، فأصبحوا في دارهم جاثمين على ركبهم موتى هلكى[2] وقد جاء في سورة الشّعراء[3] قوله تعالى : ﴿ فكذّبوه فأخذهم عذاب يوم الظُّلّة إنّه كان عذاب يومٍ عظيم . إنّ في ذلك لآيةً وما كان أكثرهم مؤمنين . وإنّ ربّك لهو العزيز الرّحيم ﴾ .

ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٣٢ .

(٢) تفسير الطّبريّ ٩/٤ .

(٣) الآيات ١٨٩ ــ ١٩١ .

كأن لم يَغْنَوْا فيها : عن ابن عبّاسٍ : كأن لم يعيشوا فيها[1] ، يقال : غَنِيَ فلانٌ بمكان كذا فهو يغنى به غِنىً وغُنْياً إذا نزل به ، وكان به[2] وعاش وأقام[3] .

أراد الملأ المستكبرون الكافرون من قوم شعيبٍ عليه السّلام أن يخرجوه هو وقومه المؤمنين فأخذهم الله سبحانه وتعالى أخذ عزيزٍ مقتدر . وها هي ذي الآية الكريمة تبيّن أنّ الّذين كذّبوا شعيباً عليه السّلام بعد أن أخذتهم الرّجفة كأن لم يغنوا في قريتهم ولم يعيشوا فيها . وردّاً على الكافرين الّذين حذّروا قومهم من اتّباع شعيبٍ عليه السّلام وإلاّ كانوا خاسرين تقرّر الآية الكريمة : ﴿ الّذين كذّبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين ﴾ .

فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾

فكيف آسى : عن ابن عبّاس : فكيف أحزن[4] .

حينما أيقن شعيبٌ عليه السّلام بنزول العذاب على الكافرين من قومه وحلول نقمة الله تعالى بهم تولّى عن قومه وأعرض وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربّي فدعوتكم إلى عبادة الله تعالى وحده لاشريك له وهي دعوة كلّ رسل الله تعالى وأنبيائه ، وصدقتكم الموعظة ، وكنت لكم النّاصح الأمين . وممّا أخلصت لكم نصحي بشأنه التطّفيف في الكيل والطّغيان في الميزان وبخس النّاس أشياءهم فأصررتم على الكفر والاستكبار والعناد حتّى حقّت عليكم من الله تعالى كلمة العذاب ، فكيف آسى على قومٍ كافرين ، وكيف أحزن على قومٍ أَلِفوا الكفر واستمرأوا الاستكبار واعتادوا الظّلم والعدوان .

---

(١) تفسير الطّبريّ ٩/٥ .

(٢) تفسير الطّبريّ ٩/٥ .

(٣) لسان العرب (غنا) .

(٤) تفسير الطّبريّ ٩/٥ .

سُنّة اللهِ تعالى
في الكافرين الفاسقين وفي المؤمنين المتقين
الآيات (٩٤ - ١٠٢)

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾

تقرّر الآية الكريمة سنّة الله تعالى مع كلّ الأقوام المكذّبين لرسل الله تعالى إليهم . إنّ كلّ قريةٍ يبعث الله تعالى إليها رسولاً وكلّ مدينة يرسل الله تعالى إليها نبيّاً وتكذّب ذلك النّبيّ وذلك الرّسول يأخذ الله سبحانه وتعالى أهلها بالبأساء وهي شدّة الفقر وضنك المعيشة ، ويعاقب الله سبحانه وتعالى سُكّانها بالضرّاء وهي شدّة المرض وسوء الحال لعلّهم يضرّعون إلى الله سبحانه وتعالى ويتذلّلون ويئوبون إليه جلّ وعلا ويستكينون ، فيؤمنون بالله تعالى وحده لا شريك له ويصدّقون النّبيّين .

والحقيقة أنّ آيات هذا القسم من السّورة الكريمة ، تأخذ بسببٍ من هذه الآيات الكريمات في سورة الأنعام[1] قال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا إلى إممٍ من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضرّاء لعلّهم يتضرّعون . فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرّعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشّيطان ما كانوا يعملون . فلمّا نسوا ما ذكّروا به فتحنا عليهم أبواب كلّ شيءٍ حتّى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مبلسون . فقُطِع دابر القوم الّذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ .

ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

حتّى عفوا : عن ابن عبّاس حتّى كثروا وكثرت أموالهم[2] .

العجيب في أمر هؤلاء الكافرين المستكبرين المعاندين أنّهم لم يفهموا حكمة الله تعالى من ابتلائهم بالبأساء والضرّاء ولم تحملهم شدّة الفاقة وشدّة المرض على التّضرّع إلى الله تعالى والتّذلّل له جلّ وعلا واستغفاره والتّوبة إليه ، بل استمرّوا في عتوّهم واستكبارهم

---

(١) الآيات ٤٢ ــ ٤٥ .

(٢) تفسير الطّبريّ ٦/٩ .

وازدادت قلوبهم قسوةً ونفوسهم جحوداً . ويشاء الله سبحانه وتعالى أن يستدرجهم ويمكر بهم ويمدّهم في طغيانهم يعمهون فيبدّل جلّ وعلا محلّ الفقر غنى ، والمرض صحّة ، والنّقمة نعمة ، والسّيّئة حسنة حتى كثر القوم ، وكثر بنوهم ، وكثرت أموالهم ، واتّخذوا من استدراج الله تعالى لهم ومكره جلّ وعلا بهم دليلاً على ذكائهم ونبوغهم وعبقريّتهم بينما رأيهم في الحقيقة وبيل ، وبصرهم كليل ، وفكرهم عليل ، حينما ذهبوا إلى أنّ الأزمنة حسنةٌ تارات ، وسيّئةٌ تارات ، وإلى أنّ الحسنات والسّيّئات ليست من الله تعالى بدليل أنّ آباءهم الّذين ورثوا عنهم الضّلال قد مسّهم الضّرّاء والسّرّاء ، المرض والصّحّة ، الفقر والغنى ، العسر واليسر ، حتّى غادروا هذه الحياة .

وحينما لم يُجْدِ مع القوم الكافرين المعاندين السّرّاء والضّرّاء وحينما أصرّوا على كفرهم وضلالهم وإعراضهم عن الله تعالى وتكذيب رسل الله تعالى إليهم مضت فيهم سنّة الله تعالى وحقّت عليهم كلمة العذاب فأخذهم الله تعالى بغتة واستأصل شأفتهم العذاب فجأة . والعجيب في أمر هؤلاء الّذين أعمى الله تعالى بصائرهم أنّ الله سبحانه وتعالى حتّى حينما أخذهم أخذ عزيزٍ مقتدر كانوا لايزالون يعتقدون أنّ الأزمنة تارات وتارات ولم يكونوا وقتاً من الأوقات ليفهموا أنّ ما حلّ بهم أخيراً من عذاب ، وما حلّ بهم قبل من سرّاء وضرّاء ، إنّما هو من الله تعالى الفعّال لما يريد الّذي خلق الخلق كي يفردوه جلّ وعلا بالعبادة .

« وهذا بخلاف حال المؤمنين الّذين يشكرون الله على السّرّاء ويصبرون على الضّرّاء كما ثبت في الصّحيحين : عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاءً إلاّ كان خيراً له ، إن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له ، وإن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له »[1] .

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾

تقرّر الآية الكريمة أنّ أهل القرى الّذين بعث الله تعالى إليهم رسلاً ووصلت إليهم

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٣٣ .